جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم الحقوق

المقياس:

قانون البيئة والتنمية المستدامة

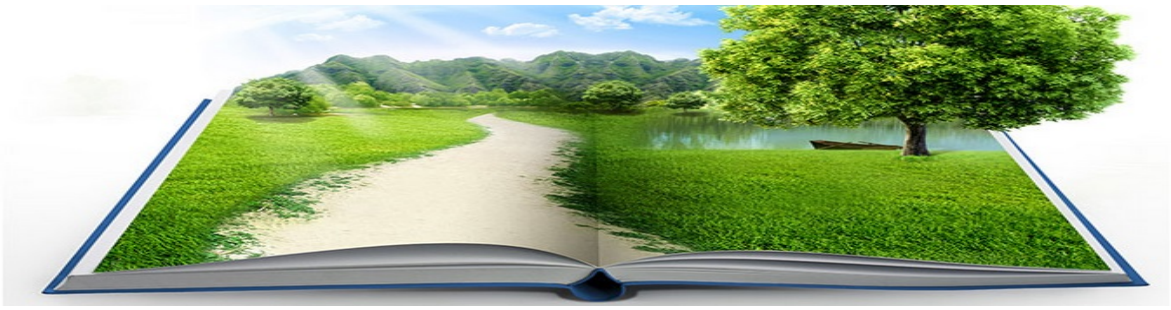

الفئة المستهدفة: السنة الثالثة قانون عام (السداسي الخامس)

أستاذ المقياس: د/ توفيق زيدالخيل

المحاضرة حول مفهوم البيئة والتنمية المستدامة

السنة الجامعية: 2024-2025

المحور الأول: مفهوم البيئة والتنمية المستدامة

قبل الحديث عن النظام القانوني للبيئة وأهم الجهود الوطنية والدولية المبذولة في هذا الإطار والتي استهدفت في مجملها حماية البيئة ومكوناتها، نحاول من خلال هذا المحور أن نمهد لبقية مواضيع المقياس من خلال بيان العلاقة بين البيئة والتنمية المستدامة، ولهذا سوف نتناول في البداية مفهوم البيئة (أولا) من خلال بيان تعريفها وكذا العناصر التي تشتمل عليها.

ثم نحاول في المحاضرة القادمة البحث في التنمية المستدامة (ثانيا) باعتبارها نموذج تنموي جديد ظهر نتيجة الإشكاليات الكبيرة التي عرفتها البيئة، وكان الغرض منه حماية البيئة وترشيد عملية استغلالها، ولهذا سنتطرق إلى تعريف التنمية المستدامة وبيان أبعادها وأهدافها، مع الإشارة إلى التطور التاريخي لهذا المصطلح باعتباره مفهوما لم يظهر للوجود مرة واحدة وإنما تبلور عبر عدة مراحل.

موضوع المحاضرة: مفهوم البيئة

نعرض في هذا العنصر تعريف البيئة وكذا التعريف ببعض المصطلحات ذات العلاقة بالبيئة، ونحاول في الأخير تبيان عناصر البيئة محل الحماية القانونية.

1- تعريف البيئة:

يستخدم مصطلح البيئة في الكثير من العلوم والمجالات المختلفة ويتغير مفهوم هذا المصطلح تبعا للموضوع الذي يستخدم فيه والغاية منه، ولبيان تعريف البيئة سنتطرق إلى التعريفات التالية:

أ- التعريف اللغوي للبيئة:

كلمة البيئة مشتقة من الأصل "**بوأ**" ومنه "باء" كما يقال بوأ أي حل ونزل وقام.

ومن هذا الفعل اشتق الاسم وهو البيئة، فاستيباءه أي أخذه مباءة بمعنى نزل وحل به[1].

وقد ذكر"ابن منظور" لكلمة بيئة معنيين قريبين من بعضهما الأول بمعنى إصلاح المكان وتهيئنه للمبيت فيه قبل تبوئه، والثاني بمعنى النزول والإقامة كأن تقول " تبوأ المكان " أي نزل فيه وأقام به.

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء 1، المطبعة الكبرى، مصر، 1982، ص 382.

وعليه، ينصرف المعنى اللغوي لكلمة البيئة في مختلف اللغات إلى المكان أو المنزل أو الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي بوجه عام، كما ينصرف إلى الحال أو الظروف التي تكتنف ذلك المكان.

ب- التعريف الفقهي للبيئة:

أدى الاستخدام المكثف لمصطلح البيئة على كافة المستويات، وفي كل مجالات المعرفة إلى اكتسابه لمفاهيم متعددة بتعدد العلوم الإنسانية، ومختلفة باختلاف مضامينها وغاياتها، كما ساهم من ناحية أخرى في جعل مفهوم البيئة من أكثر المفاهيم العلمية تعقيدا وأقلها فهما على الرغم من أنه أكثرها أهمية وتأثيرا في مستقبل حياتنا.

وغم هذا الإخلاف إلا أن جل التعاريف تشير إلى نفس المفهوم، حيث تعرف بأنها: "ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته ويمارس فيه علاقته مع بني البشر".

كما تعرف بأنها "الوسط الذي يولد فيه الإنسان، وينشأ ويعيش فيه حتى نهاية عمره، وتشمل البيئة جميع العوامل الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وكل ما يؤثر على الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر"[1].

كما عرفت البيئة بأنها: "مجموعة الموارد الطبيعية والاجتماعية المتاحة في وقت معين من أجل إشباع الحاجات الإنسانية".

ج- التعريف القانوني للبيئة:

على إثر التطورات الواقعة في المجال الصناعي والعلمي والتي شهدها العالم أضحت البيئة تشكل مفهوما ذا قيمة ضمن قيم المجتمع الذي سعى إلى الحفاظ على مقدراتها وحمايتها من التدهور والأضرار، لذلك نجد أن معظم الدول اتجهت إلى وضع قوانين تراعي بموجبها مفهوم البيئة، بل أكثر من ذلك ذهبت إلى دسترة هذا المفهوم وجعله مدخلا أساسيا لمقتضيات التنمية المستدامة، وعليه سنستعرض تعريف البيئة في القانون الدولي ثم نشير إلى تعريف البيئة في بعض التشريعات المقارنة وأخيرا نحدد التعريف الذي وضعه المشرع للمصطلح.

[1]- أحمد عبد الرحيم السايح وأحمد عبده عوض، **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مركز الكتاب، القاهرة (مصر)، 2004، ص 20.

ج1- تعريف البيئة في الاتفاقيات الدولية: بالرجوع إلى مخرجات المؤتمر الدولي للبيئة المنعقد بستوكهولم سنة 1972 نجده يعرف البيئة على النحو الآتي: "أن البيئة هي مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم".

ونفس النهج سارت عليه مختلف الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية التي انعقدت بشأن البيئة.

ج2- تعريف البيئة في التشريعات المقارنة: عرّف **المشرع الفرنسي** البيئة ضمن المادة 110-1 من القانون الصادر في سنة 1995 المعدل في سنة 2016 المتعلق بالبيئة بأنها: "مجموعة من العناصر التي تتمثل في الفضاء والمصادر الطبيعية الأرضية والبحرية والمناظر الطبيعية والهواء والكائنات الحية والتنوع البيولوجي"[1].

يبرز من خلال هذا التعريف أن المشرع الفرنسي قد قام بحصر مفهوم البيئة ضمن العناصر الطبيعية فقط دون العناصر التي يتدخل الإنسان في إيجادها.

وعرفت البيئة في **التشريع المصري** بموجب القانون رقم 4 لعام 1994 بأنها المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية، وما يحتويه من موارد وما يحيط بها من هواء وماء وتربة، وما يقيمه الإنسان من منشآت، وبذلك يكون قانون البيئة المصري قد جاء متفقا مع التعريفات الفقهية الحديثة، التي توسعت في مفهوم البيئة المحمية بالقانون، فشمل التعريف العناصر الطبيعية من كائنات حية، ماء، تربة والعناصر التي يقيمها الإنسان من منشآت.

ج3- تعريف البيئة في التشريع الجزائري:

لم يعرف المشرع الجزائري البيئة بموجب النصوص القانونية تعريفا واضحا، وإنما اكتفى بموجب المادة 04 من القانون رقم 03-10 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة بذكر مكوناتها، حيث نصت المادة المذكورة أعلاه على أن: "البيئة تتكون من الموارد الطبيعية اللاحيوية والحيوية كالهواء والجو والماء والأرض وباطن الأرض والنبات والحيوان، بما في ذلك التراث الوراثي، وأشكال التفاعل بين هذه الموارد، وكذا الأماكن والمناظر والمعالم الطبيعية".

[1]- Voir la Art L110-1 de la loi française 95/101 relative au renforcement de la protection de l'environnement modifié par la loi 2016/1087 du 08/08/2016 pour la reconquête de la nature et des paysages, sur le site: https://www.legifrance.gouv.fr/codes/id/LEGIARTI000033033501/2016-08-10/.

إن الملاحظ على المادة أعلاه، أنها لم تعطي تعريفا للبيئة وإنما تحدثت عن مكونات البيئة والتي حصرتها في العناصر الطبيعية سواء الحيوية أو اللاحيوية دون العناصر التي يتدخل الإنسان في إيجادها.

2- التعريف ببعض المصطلحات ذات العلاقة بالبيئة:

أ- تعريف علم البيئة: هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين الكائنات الحية، سواء كانت نباتية أو حيوانية أو إنسان أو كائنات دقيقة والوسط البيئي الذي يعيش فيه هذا الكائن الحي، ومدى تأثير هذا الوسط عليه وكذا تأثير الكائنات الحية على هذا الوسط كما يشمل هذا العلم كل العناصر الطبيعية والحياتية التي توجد حول الكرة الأرضية وعلى سطحها وداخل جوفها كالغلاف الجوي والمائي والصخري وكل ما يحمله من سهول وهضاب وجبال وأنهار...وما يعيش فيه من كائنات.

ب- تعريف النظام البيئي: هو "وحدة بيئية متكاملة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية في مكان معين يتفاعل بعضها ببعض وفق نظام دقيق ومتوازن في حركة دائبة لتستمر في أداء دورها".

ويمكن تعريفه أيضا بأنه التفاعل المنظم والمستمر بين عناصر البيئة الحية وغير الحية، وما ينجم عن هذا التفاعل بين هذه العناصر من دوام واستمرارية التوازن البيئي بينها جميعا حيث أن هناك علاقات وارتباطات وظيفية معقدة تربط بين عناصر البيئة بنوعيها الطبيعي والحيوي، في انسجام دقيق هو الذي يطلق عليه النظام البيئي.

وعرفت المادة 04 من القانون 03-10 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة بأنه "مجموعة ديناميكية مشكلة من أصناف النباتات والحيوانات وأعضاء مميزة وبيئتها غير الحية، والتي حسب تفاعلها تشكل وحدة وظيفية" ويستخلص من هذا النص أن مفهوم النظام البيئي مفهوم عام ومطلق ويشمل كل تلك العناصر الموجودة في البيئة والتي تشكل في مجموعها كتلا مترابطة ومتكاملة فيما بينها لا يمكن التفرقة بينها.

3- عناصر البيئة:

تأخذ البيئة كقيمة يهتم القانون بتنظيمها وحمايتها مفهوما واسعا يشمل الوسط الذي يعيش فيه الإنسان سواء كان وسطا طبيعيا كالماء والهواء والتربة والأنظمة الغابية، أم كان وسطا من إنشاء الإنسان.

أ- **العناصر الطبيعية:** هي العناصر التي لا دخل للإنسان في وجودها وإنما هي سابقة حتى على وجود الإنسان نفسه وتتمثل هذه العناصر في:

- **الهواء:** يعد الهواء أثمن عناصر البيئة وسر الحياة، ولا يمكن الاستغناء عنه إطلاقا ويمثل الغلاف لجوي المحيط بالأرض ويسمى علميا بالغلاف الغازي، إذ يتكون من غازات أساسية لديمومة حياة الكائنات الحية، وكل تغير يطرأ على مكوناته يؤدي إلى نتائج سلبية تؤثر على حياة الكائنات الحية.

- **الماء:** الماء مركب كيميائي ينتج من تفاعل غاز الأوكسجين مع غاز الهيدروجين ويتميز بخواص كيميائية وفيزيائية وحيوية تجعله من مقومات الحياة على الأرض، وللماء دورة ثابتة في الطبيعة، ويغطي 71% من مساحة الأرض.

- **التربة:** هي الطبقة التي تغطي صخور القشرة الأرضية وسمكها يتراوح بين بضع سنتيمترات وعدة أمتار، تتكون من مزيج من المواد المعدنية والعضوية والماء والهواء، وهي من أهم مصادر الثروة الطبيعية المتجددة، ومقومات الكائنات الحية.

- **التنوع الحيوي:** مصطلح يطلق لوصف تعدد أنواع الكائنات الحية الموجودة في النظام الإيكولوجي ويقاس التنوع الحيوي في منطقة معينة أو في نظام إيكولوجي محدد بمقدار أنواع الكائنات الحية الموجودة فيه، وأهمية وجود التنوع الحيوي تنبع من أن كل نوع من الكائنات الحية يقوم بوظيفة محددة في النظام الإيكولوجي فإذا اختفى أي نوع من الأنواع فإنه يؤدي إلى اختلال التوازن في النظام الإيكولوجي وحدوث العديد من الأضرار البيئية.

ب- **العناصر الاصطناعية:** تقوم البيئة الاصطناعية أساسا على ما أدخله الإنسان عبر الزمن من نظم ووسائل وأدوات تتيح له الاستفادة بشكل أكبر وبتكلفة أقل من مقومات العناصر الطبيعية للبيئة، وذلك من أجل إشباع حاجياته ومتطلباته الأساسية وحتى الكمالية، حيث تتشكل العناصر الاصطناعية من البنية الأساسية المادية التي يشيدها الإنسان ومن النظم الاجتماعية

والمؤسسات التي أقامها، ومن ثم يمكن النظر إلى البيئة الاصطناعية من خلال الطريقة التي نظمت بها المجتمعات حياتها والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة الحاجات البشرية، حيث تشمل البيئة الاصطناعية استعمالات الأراضي للزراعة، ولإنشاء المناطق السكنية وللتنقيب فيها عن الثروات الطبيعية وإنشاء المناطق الصناعية والتجارية والخدماتية...الخ.

إذن فالبيئة الاصطناعية أو البيئة المشيّدة ما هي إلا البيئة الطبيعية نفسها، ولكن بتدخل الإنسان وتطويع بعض مصادرها لخدمته، وعليه فالبيئة الاصطناعية تعد بيان واقعي صادق لطبيعة التفاعل بين الإنسان وبيئته.